

الإمام حسن البنا يكتب: رمضان.. هل أحسنًا ضيافته؟!



الأربعاء 20 مايو 2020 10:36 م

هاهو الضيف الكريم الذى أمتع المسلمين أيامًا معدودات بطلعته المشرقة وأوقاته المملوءة بالخير والبر يتأهب للرحيل، ويؤذنه بالتوديع، ولكل أجل كتاب، وأحب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزئ به.

نرى هل أكرم المسلمون وفادته، وأحسنوا فراه فهو شاكر ممتن؟ أم تتأقلوا عن واجبه ونسوا حقه فهو مغبون مهضوم؟ والضيف يحمد أو يلوم.

وهاهو ذلك الكتاب الناصع الصفحات من مذكرات الزمن لم يبق فى صحائفه إلا القليل، وقد طوى الكثير منها على ما احتواه من الخير أو الشر؛ فترى هل كتب المسلمون صحائف هذا الكتاب بمداد الصالحات، ووشوه بأنوار الطاعات والمبرات، وطرزوه بسنا الخلائق الغر والصون والطهر، وختموه بمسك الإنابة والاستغفار، أم أهملوها فطويت غفلا، وذهبت هباء، أو لوثوها بسواد العصيان كدروا نصابها بظلمة العدوان.

وهاهو ذلك الشهيد الذى أقام فينا شهيرًا يعود ليؤدى مهمته، ويعلم شهادته، وينطق علينا بما رأى منا، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر؛ فهل قدر المسلمون ذلك فجعلوا أعمالهم حجة لهم لا حجة عليهم؟.

وهاهى مركبة الزمن التى أرسلها الله لعباده قد قطعت مرحلتها، وسارت إلى غايتها؛ حيث تتوارى بالحجاب بما تحمل من خيرات أو آثام، ثم يحفظ كل ذلك لأهله، ويرى كل إنسان ما قدم من عمله **(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا)** [آل عمران: 30]، فهل رأى المسلمون هذه المركبة وهى تسير؛ فحلوها من الصالحات ما يروونه محضًا يوم القيامة تقر به نفوسهم وتنشرح له صدورهم.

أخيرًا هاهو شهر رمضان العظيم المبارك ينقض تباغًا ولم يبق فيه إلا الدماء؛ فكيف كان المسلمون فى هذه الأوقات المباركات؟

أنت يا أحمى واحد من رجال؛ إما رجل عرييد مستهتر لا يقدر حرمة الأيام، ولا يعترف بقداسة التكليف؛ فرمضان وغير رمضان عنده سواء؛ فهو فى كلها سادر فى غلوائه، ماض فى خيائه، غارق فى بلوائه، مطمئن إلى مسلكه، أنس بما يرتكب من بوائق وآثام؛ فهذا الرجل أهان الضيف، ولوَّث صحائف الكتاب وأغضب الشهيد، وحمل المركبة ما تنوء به من الشرور والمفاسد، وهو إن أراد النجاة فالسبيل معبدة، والعودة ممكنة، والتواب كريم، وباب الرجوع لما يقفل وإنه غفور رحيم، وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وما أجمل أن يتوب هذا المسرف من ذنبه، ويرجع إلى ربه؛ فيبدل سيئاته حسنات، ويرفعه إلى أعلى الدرجات، وسبحان من نفع المسلمين بقاتل حمزة.

وإما رجل لاه غافل، مر به رمضان كما تمر السحابة بالقوم النيام، لم يروها ولم تمطرهم؛ فلا هم شعروا بظلمها، ولا هم استفادوا من خيرها، وهذا الرجل حرم فضل الضيافة، ووثاقه الكتابة، ومعهدة الشهيد وترك المركبة فارغة، وهو فى ميسس الحاجة إلى ما تحمل من خير وبر، وأولى له أن يبادر فى البقية الباقية من أيام رمضان فيسترضى ضيفه بما يقدم من قراه، ويستوثق لنفسه بما يدون فى صحف هذا الكتاب، ويكتسب الشهيد بما يعمل بين يديه من خيرات، ويملا المركبة بما استطاع من طاعات، وقد يبارك الله فى هذا القليل فيعود خيرًا كثيرًا، والله ذو الفضل العظيم.

إما رجل حازم حكيم، علم بمقدم الضيف فأعد له العدة وأكرم الوفاء ولاقاه بالبشر.

وقال له أهلا وسهلا ومرحبًا

فهذا مبيت صالح ومقبل

يبتسم لكل ساعة من ساعات الشهر، ويكرمها بطاعة من طاعات الرب؛ فتمضى لاهجةً بشكر صنيعه رائبة فى الثناء عليه، وعلم أن صفحات الكتاب هى تقارير عمله، فدون فيها ما يرفع منزلته ويعلى رتبته؛ فهى وثيقته بين يدي مولاه وحقته عند ربه، ورأى الشهيد ناطرًا إليه ورقبًا عليه فلم يره إلا ما تقر به عينه من صلاة وصيام وتلاوة وقيام وصون وطهر وصدقة وبر ومسارة إلى الخير؛ فكانت الشهادة برهانًا له وسندًا يعتد به، ورأى المركبة تمر تباغًا وتمشى سراعًا، فحملها فى كل خطوة خيرًا كثيرًا؛ فهو جدير أن يكون غنيًا بما قدم سعيدًا بما عمل مطمئنًا إلى عاقبة أمره **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)** [الزلزلة: 7-8].

وهذا الشخص حقيق أن يضاعف مجهوده، ويزيد فى يقظته، وعند الصباح يحمد القوم السرى، ولأمر ما كان صلى الله عليه وسلم إذا أقبل العشر الأواخر من رمضان شمر وأيقظ أهله وشد المنزر.

أيها المسلمون، هاهو رمضان يؤذنكم بالرحيل، وقد كان فيكم أستاذًا يملئ عليكم مبادئ الرجولة الصحيحة، ويربى فيكم الإرادة القوية، ويُعوّذكم الاحتمال والصبر، ويرسم لكم طريق الحرية، ويكشف عن بصائركم حجب المادة؛ حيث تسمو إلى أفق الملائكة، ويعلمكم الفقه عن الله -تبارك وتعالى- والفهم لكتابه ودينه وآياته، ولكل أستاذ أثره؛ فكيف كان شهر رمضان في نفوسكم؟

زنوا أنفسكم وتعزّفوا أثر رمضان في أرواحكم، وانظروا: هل قويت إرادتكم فأصبحتم قادرين على الاستغناء عن التوافه من المتع في سبيل العظائم من المكرمات؟

وهل تعودتم الصبر على الشدائد فأصبحتم قادرين على التضحية في سبيل الوصول إلى أنبل الغايات؟ وهل كُشف عن بصائركم الحجاب فأدرتكم حقارة أعراض هذه الحياة الدنيا إلى جانب عزة النفس ووفرة الكرامة وحرية الضمير وسعادة الروح؟

وهل تفقهتم في دين الله وتفهم آياته فأصبحتم تتجاوزون الألفاظ الجامدة إلى المعاني السامية، والتقاليد الفاسدة إلى لب التشريع وأسرار التنزيل؟ إن كان ذلك كذلك فاحمدوا الله على ما هداكم، وإن لم يكن ذلك كذلك فاجتهدوا في هذه اللحظات الباقية أن تصقلوا مرآة أرواحكم، وتطهروا أدران نفوسكم وتنتفعوا بفيض الله -تبارك وتعالى- في شهركم؛ فإن فعلتم فسوف تدركون -إن شاء الله- وإن أعرضتم فقد بلغت.. اللهم اشهد.

المصدر : مجلة الإخوان المسلمون – السنة الأولى – العدد 26 – ص1 : 3 – 25 رمضان 1352 هـ / 11 يناير 1934 م.

<https://ikhwanonline.com/article/239951>